

روح المعاني

وقرا نافع وجماعة عن يعقوب وأبو حاتم عن عاصم تجبى بقاء التأنيث وقرية تجنى بالنون من الجني وهو قطع الثمر وتعديته بالى كقولك يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافة وقرأ أبان بن تغلب عن عاصم ثمرات بضم الراء والميم وقرأ بعضهم ثمرات بفتح الراء واسكان الميم ثم أنه تعالى بعد أن رد عليهم خوفهم من الناس بين أنهم أحقاء بالخوف من بأس الله تعالى بقوله : وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكثيرا من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الأمن وخفض العيش والدعة حتى بطروا واغثروا ولم يقوموا بحق النعمة فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلک مساكنهم التي تمررون عليها في أسفاركم كحجر ثمود خاوية بما ظلموا حال كونها .

لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم إلا قليلا أي إلا زمنا قليلا إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم أو إلا سكنا قليلا وقلته باعتبار قلة الساكنين فكأنه قيل : لم يسكنها من بعدهم إلا قليل من الناس .

وجوز أن يكون الاستثناء من المساكن أي إلا قليلا منها سكن وفيه بعد وكنا نحن الوارثين . 85 .

- منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات أيديهم وفي الكشف أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض وهو مشير إلى أن الوراثة إما مجرد انتقالها من أصحابها وإما إلحاقها بما خلقه الله تعالى في البدء فكأنه رجع إلى أصله ودخل في عداد خالص ملك الله تعالى على ما كان أولا وهذا معنى الارث وانتصاب معيشتها على التمييز على مذهب الكوفيين أو مشبه بالمفعول به على مذهب بعضهم أو مفعول به على تضمين بطرت معنى فعل متعد أي كفرت معيشتها ولم ترع حقها على مذهب أكثر البصريين أو على إسقاط في أي في معيشتها على مذهب الأخفش أو على الطرف نحو جئت خفوق النجم على قول الزجاج . وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية أثر بيان إهلاك القرى المذكورة أي وما صح وما استقام أو ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الاندثار بل كانت سنته D أن لا يهلكها حتى يبعث في أمها أي في أصلها وكبيرتها التي ترجع تلك القرى إليها رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وإنما لم يهلكهم سبحانه حتى يبعث إليهم رسولا لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا ولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك وإنما كان البعث في أم القرى لأن أهل البلدة الكبيرة وكرسي المملكة ومحل فطنة وكيسا فهم أقبل للدعوة وأشرف .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة أن أم القرى مكة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم فإلمراد بالقرى القرى التي كانت في عصره E والأولى أولى والالتفات إلى نون العظمة في آياتنا لتربية المهابة وإدخال الروعة وقرية في إلهها بكسر الهمزة اتباعاً للميم وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك مهلك القرى إلا وأهلها طالمون استثناءً مفرغ من أعم الأحوال أي وما كنا مهلكين لأهل القرى بعد ما بعثنا في أمها رسولا يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه في حال من الأحوال إلا حال كونهم طالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث وما أوتيت من شيء أي شيء أصبتموه من